نشأة نظرية التواصل

لقد انطلقت الدراسات والبحوث المتخصصة في نظرية التواصل في الأربعينيات من القرن الماضي الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ساهمت أبحاث متنوعة في مجالات متعددة كالفيزياء والرياضيات في بلورة نظرية الأنظمة التواصلية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأبحاث سبقت بدراسات بدأت منذ نهاية القرن 19، ومن بين هذه النظريات "النظرية الرياضية للتواصل والتي ظهرت على يد الرياضيين كلود شانون (1916– 2001)، ووارين ويفر (1894–1978) والتي تضمنت " مفهوم احتمالية الحدث وإمكانية قياس هذه الاحتمالية، حيث شكل التواصل اللساني فرعا من الفروع المدروسة فيها".

ولقد أصبحت اللسانيات التواصلية أحد فروع اللسانيات الاجتماعية، وارتقت إلى أن تكون من أهم العلوم الإنسانية برمتها، إذ تقوم هذه اللسانيات التواصلية على منظومة ثلاثية الأقطار، أولها المرسل باعتباره صاحب المبادأة في التواصل، وثانيها المستقبل باعتباره هدفا مباشرا للرسالة، وثالثها المجتمع باعتباره مصدر العلاقة بين أطراف التواصل وباعتباره مصدر النظام الذي تبنى على أساسه هذه العملية، وبفض اشتراك علماء الرياضيات ومهندسي التواصل تمت علميا تحديد دقيق لمفاهيم عدة وحدود كثيرة لنظرية التواصل، إذ أن تحديد موضوع هذه النظرية باعتبارها بحثا تأمليا في المميزات الخاصة لكل نظام من العلامات، مستعمل بين كائنين يهدف من ورائه إلى غايات تواصلية إذ يقتضي هذا التعريف أطرافا مكونة تؤثر في كل سيرورة تواصلية، تبدأ من السنن" المشترك بين المتكلمين إلى قناة لرسا لعناصرها السياقية والمضمونية وقطبي اتصال وإبلاغ الرسالة لعناصرها السياقية والمضمونية وان كل طرف من الأطراف يأخذ تعريفه انطلاقا من التواصل، المحوريين هما: المرسل والمتلقي من نمط التواصل، أي من طبيعته وشكله اللغوي وغير اللغوي حسب ما ذكر الغزالي في **اللسانيات ونظرية التواصل**. والتواصل حتما وفق ما توصلت إليه الدراسات يعتمد على عدد من الفونيمات والمورفيمات في إنشاء وتكوين أي لغة طبيعية نستطيع من خلالها تمييز ثلاث مراحل رئيسية تجسد وضعية التواصل انطلاقا من اللحظة التي تصل فيها الرسالة إلى المستمع هذه المراحل حسب ما ذكر المسدي في اللسانيات من خلال النصوص:

– **المرحلة الأولى:** وهي مرحلة تكوين الرسالة وإطلاقها أصواتا، وهي تخص المتكلم، وتسمى المرحلة الرئيسية.

– **المرحلة الثانية:** وهي تلك التي تنتقل فيها الأمواج الصوتية عبر الهواء إلى أن تدق طبلة الأذن عند المستمع ثم تنقل إلى دماغة.

– **المرحلة الثالثة:** فهي تتعلق بالمستمع وكيف يعيد تركيب الرسالة من الأصوات التي تصله إلى المعنى الذي تحمله. فالمتكلم في مرحلته الأولى يعتبر في مهمة اختيار المعاني وجعلها في قوالب جاهزة معتمدا في ذلك على رصيده اللغوي، فالفكرة لابد لها من قالب لغوي يعبر عنها، عندها تصبح الرسالة جاهزة لدى المتكلم الذي يعمل على البوح بها وإصدارها. أما في مرحلته الثانية فيعتبر الدماغ المحرك الأساسي فيها فهو يقوم بإصدار الأوامر إلى أجهزة النطق المختلفة لكي تؤدي الحركات المعينة اللازمة لنطق هذه الجملة. وفي المرحلة الأخيرة تقوم أجهزة النطق بإصدار الأصوات المطلوبة ويكون هنا دور المتكلم قد انتهى